التراث العربي بين انصاره ورافضيه

الدكتورة
ابتسام مرهون
كلية الاداب ـ جامعة بغداد
(قسم اللغة العربية)

كان العراق وما يزال جلوة نيرة تمد الادب والفكر العربي بقبسات خالدة من نتاجها الفكري : الادبي والحضاري بصورة عامة ، واتخذت هذه الجلوة اشكالا شتى وعطاءات مختلفة من نتاج ادبي الى رعاية واحتضان لهذا النتاج ، ولغيره مما خلفته الامة العربية .

وكان من قبسات هذه الجلوة النيرة ان يرعى العراق ذكريات ادبائه الخالدين ، وان يقام مهرجان في ذكرى ابي تمام ، واخر في ذكرى الخليل بن احمد ، والفنان الواسطي ، وان تعاد للبصرة وجوهها العربية ، وجلساتها الندية في سوق المربد ...

وتجسدت هذه الرعاية بظهور مجلة المورد ، واحتضانها للاقلام التي جندت نفسها لخدمة التراث ، واجلاء غبار السنين عنه ، والتعريف بمخطوطاته ولم شتاته المتفرق .

واخيرا احتضنت هذه الرعاية المؤرخين والمفكرين العرب والاجانب في المؤتمر التاريخي الاول للجمعية العراقية للتاريخ والاثار ، والذي انعقد برعاية السيد رئيس الجمهورية ببغداد بتاريخ ٢٥-٣-١٩٧٣ وحتى ٣٠-٣-١٩٧٣ ولست من المؤرخين ، ولا حق لي في التحدث عن المحاضرات التاريخية القيمة التي القيت في جلسات المؤتمر العامة ، او القيت ونوقشت في احدى لجانه ولكنني ساتحدث عن جانب واحد منها .

لقد توزعت محاضرات المؤتمرين في ثلاث لجان :

ا ـ لجنة فلسطين والخليج العربي .

ب ـ لجنة الاستعمار وحركات التحرر العربي .

ج ـ لجنة التراث العربي .

بالاضافة الى المحاضرات العامة التي القيت عصر كل يوم ، وسأترك الحديث عن هذه المحاضرات نقدا او تعريفا للمختصين الذين حضروا جلسات المؤتمر ، او ساهموا في النقاش والنقد الذي جرى بين قاعاتها .

واركز حديثي هنا عن المجموعة الثالثة « التراث العربي » واخص منها بالذكر المحاضرات التي دارت وناقشت مسألة التراث العربي اصالته ، والاهتمام به ، عناصره ، وسماته ، ورعايته ، ورفضه ... الخ تاركة المحاضرات التي القيت ضمن منهاج لجنة التراث العربي ايضا ، مما يدخل في موضوعات تاريخية بحتة .

ان حكاية التراث العربي هي حكاية الامة العربية ، انها المشكلة التي تدور في اذهان الجيل العربي الحاضر بصورة عامة ، والباحثين والادباء بصورة خاصة !!

فما جدوى اهتمامنا بالتراث ؟؟

وهل المعركة المصيرية التي تخوضها الامة العربية معركة قوة وسلاح ام انها معركة عقيدة ، وتراث ضخم يخدم هذه العقيدة ، ويدافع عنها بالقوة والسلاح ؟ ؟

كل هذه التساؤلات وجدنا لها اصداء ، واجوبة في بعض هذه البحوث ولعل في بعض هذه الاصداء ردودا شافية لخواطر وتساؤلات تخطر في بال الكثيرين ، وتتعثر بخطى البعض الاخر ، وهو يقدم على قراءة نص ما ، او بحث ما !!

فما هو التراث العربي وما المقصود منه ؟؟

(التراث العربي هو حصيلة ما عرفته الجماعات والدول العربية والاسلامية في كل مجالات الحياة من معنوية ، ومادية على حد سواء وبصرف النظر عن اصولها الاولى ، عربية او اسلامية كانت ام غير ذلك ! اذ العبرة بما آلت اليه عناصر هذا التراث عبر العملية التاريخية التي استمرت لعدة قرون من حيث انها اصبحت تمثل حضارة العرب والاسلام او تركتهما)(*) .

لقد ذكر الباحثون عناصر التراث العربي فنصل بعضهم في ذكرها ، واشار البعض الاخر الى بعضها مبينا اهميته ، وضرورة احيائه ، ان معرفة عناصر التراث تعرفنا جوهر التراث ، واهميته من جهة ، وضرورة احيائه او اهماله من جهة اخرى .

حدد الدكتور نيقولا زيادة عناصر التراث العربي في ثلاث صفات :

اولها : انها كانت عربية التعبير ، اذ ان الشعوب الاسلامية التي انضوت تحت راية العرب وان كانت قد احتفظت بلغتها الوطنية للتعبير عن حاجاتها اليومية الا ان التعبير عن نواحي الفكر الاصلية كان سبيله اللغة العربية ، وحتى الشعوب

(*) (عناصر التراث العربي فكرا وحضارة) محاضرة د. سعد زغلول عبدالحميد ص ٢ .

التي كانت لها من قبل حضارات عريقة عبرت عن آثارها بالعربية مدة طويلة الى ان عادت الى استعمال لغتها الوطنية كالفرس مثلا) . وهنا يسجل ملاحظة جديرة بالاهتمام لانها تمس مشكلة لغوية كبيرة ، او فلنقل مشكلة كثر ، وطال الجدل حولها : وهي مدى صلاحية اللغة العربية في الوقت الحاضر للتعبير عن صنوف التطور العلمي والحضاري السائد في العالم ، وهل نستغني عنها باحدى اللغات الاجنبية (الحية ؟) اذا اردنا التعبير والحديث في احد الميادين العلمية ؟!.

هنا يعيد الدكتور نيقولا زيادة الى اذهاننا طواعية اللغة العربية التي استطاعت ان تستوعب وتعبر عن شتى ميادين الحضارة التي تفتحت امامها عندما انفتح العرب من جزيرتهم الى العالم مبشرين بدعوة الدين الاسلامي الحنيف . يقول الدكتور نيقولا زيادة ذاكرا هذه الملاحظة (وما كان للغة العربية ان يتم لها هذا لولا انها كانت ذات طواعية على التفجر الداخلي ، الفاظا وتركيبا فتتسع لكل هذا الجديد اتساعا يسيرا هينا ، وينطلق التعبير بها عن اراء وافكار واتجاهات جديدة عميقة تعبير فيه فن وفصاحة وبساطة ، وتعقيد بحسب ما تقتضيه الامور والاحوال ، ويكفي ان يتذكر المرء هذه الالاف من الكتب التي خلفها المؤلفون في مختلف الموضوعات ليقر للغة العربية بانها آلة من آلات الحضارة العالمية .) (١)

وثاني هذه الصفات لتراثنا العربي هي (ان الروح التي كانت تدفع بالحضارة هو الاسلام ، ومن ثم فهي حضارة اسلامية الصبغة والصيغة . وليس المقصود ان يغمط حق الجماعات غير المسلمة من مسيحية وغيرها ممن اسهمت اسهاما كبيرا في بناء الصرح الحضاري ، ولكن المقصود هو ان الجو الذي كان القوم يعملون فيه هو جو اسلامي) . (٢)

واذا كان بعض الباحثين العرب يهمل تعمدا او تحفظا ذكر الاسلام في حديثه عن الحضارة العربية فان المستشرقين قد افاضوا في الحديث عن دور الاسلام في الحضارة العربية والانسانية ، وبحوثهم الكثيرة غنية عن التعريف معلومة لدى الباحثين والادباء الا انني اشير هنا بصورة خاصة الى محاضرة الاستاذ الفرنسي روجيه كارودي عن (الاسلام والاشتراكية) والتي القيت في المؤتمر ايضا .

وثالث هذه العناصر هو انفتاح الحضارة العربية او هو ما يسمى بالعالمية اي ان الحضارة العربية كانت عالمية المحتوى ، ولم تقتصر على اجزاء من البلاد التي قامت فيها ، ولا على البلدان العربية فحسب بل تجاوزتها الى البلاد الاخرى فصلحت هذه الحضارة لشعوب اخرى كانت تعيش خارج المنطقة . وكانت عالمية المحتوى من حيث الامور التي عولجت كما كانت عالمية من حيث الاطار الذي عولجت فيه هذه القضايا : (وما كان لحضارة لها هذه الصفة العالمية ليتم لها ذلك لو انها كانت مغلقة أي ان أصحابها كانوا يقنعون بالاكتفاء الذاتي .)(٣)

(١) عناصر الحضارة العربية : ٣ وانظر الاهتمام بمصادر التراث العربي ـ سيدة كاشف ص٢ .
(٢) ن . م .
(٣) ن.م . وانظر ايضا الاسلام والاشتراكية : روجيه كارودي: ١٢ ، عناصر التراث العربي فكرا وحضارة : الدكتور سعد زغلول ص ٥ ، ٦ .

هذه الميزة تنقلنا الى الخاصة الرابعة للحضارة العربية وهي انها كانت منفتحة ، والانفتاح في الفكر العربي في الفترة التي نتحدث عنها كان انفتاحا على كل شيء ، وكل قضية ، وكل بحث (ولم تسلم من ذلك امور العقيدة بالذات ... واذا كانت هذه الحضارة منفتحة في امور العقيدة فاولى ان تكون منفتحة في القضايا والمسائل الفكرية الاخرى .) (٤)

وانفتاح الفكر العربي أيام ازدهاره ومجده فكرة وردت عند اكثر من باحث ومحاضر فرأى بعضهم ان اصالة الحضارة العربية اتت من كونها منفتحة اخذت من الشعوب التي اتصلت بها كل ما وجدته مجديا ومفيدا ، وان جو الحرية والتسامح الذي ترعرعت فيه هذه الحضارة هو الذي دفعها الى الامام وهو الذي اوجد هذه الشخوص القائمة في التاريخ في شتى فنون المعرفة التي طرقها مؤلفو العرب القدماء . فارسوا بذلك تقاليد البحث العلمي واستخدموا في دراسة العلوم الملاحظة ومارسوا التجريب .(٥)

وبهذا علل الباحثون انحدار الفكر العربي وتأخره بانه (في الوقت الذي اغلق فيه العرب الباب عليهم ورفضوا روافد الفكر من الخارج اصابهم من الناحية الفكرية نوع من الجمود والركود وعندها فقدوا من نتاجهم القليل الصبغة العالمية واصبحوا اقليمي التفكير)(٦) . ويعلل الدكتور سعد زغلول تأخر المجتمع العربي في منتصف القرن السادس الهجري حين اختفت جماعة المناطقة والعقلانيين او اصحاب التفكير المنظم من مسرح الحياة العامة بمكن ان يعتبر كبوة خطيرة في مسار التقدم العربي .(٧) وحين يتحدث روجيه كارودي عن التراث الفلسفي للفكر الاسلامي وكونه ثروة بالغة للغاية ويبين اسهام هذا التراث الكبير في صرح النهضة الاوربية يدعو العرب للمحافظة على هذا التراث الرفيع العظيم لاجل اطالة ماضي جديد واجتناء ثمرات تراث عظيم ويدعوهم الى انفتاح الفكر الاسلامي ايام عزه ومجده ، يقول : (ليست الشعوب العربية في اية حاجة لان تنطوي على ذاتها فحسبها ان تكون امينة على موروثاتها ، وهي اعلى موروثات تتنسم نسمات العالم على سعته ، ذلك لان الثقافة الاسلامية كانت مطبوعة دائما بطابع الانفتاح والتفتح ، لقد اغنت نفسها باتصالها بكل الثقافات التي بعثت فيها الحياة ، واخصبتها باحتكاكها بها .) (٨) .

لِمَ رفض الرافضون التراث العربي :

وتراث هذه صفاته ، وهذه اصالته التي أهلته أن يقف شامخا صامدا قرونا طويلة ، وان تنضوي تحت رايته امم شتى

(٤) عناصر الحضارة العربية : نيقولا زيادة : ٣ .
(٥) هل نحن اهل لنهضة جديدة : ص ٦ .
(٦) عناصر الحضارة العربية : ٣ .
(٧) عناصر التراث العربي فكرا وحضارة : ٥ .
(٨) الاسلام والاشتراكية : ١٢ وانظر بحث سيدة كاشف استاذة التاريخ الاسلامي ورئيسة قسم التاريخ بجامعة عين شمس بالقاهرة (الاهتمام بمصادر التراث العربي) ص ٣ .

وشعوب مختلفة اضافت هي الاخرى لبنات في صرح الحضارة الانسانية) ، مثل هذا التراث هل يعقل ان يتعرض احد له بالرفض او التشكيك بجدواه ومحتواه ؟! او رفض روحه الاسلامية ومثله التي الفت شتى الاجناس والاتجاهات !!

نعم وجدت هذه الظاهرة ولكنها لم تسمع ابان عز الامة العربية ، ولا ايام ازدهار هذا التراث وشموخه انما سمعت هذه الاصوات في ظروف توزع فيه الوطن العربي ، ونهشت في وحدته علل شتى ، وامراض اجتماعية وسياسية خبيثة ، وخيم الاستعمار على هذه البقية الباقية . وتحت ظل هذه الظروف القاسية سمعنا بالنبرة الجديدة التي تدعو الى رفض التراث او تسخر منه او تشكك بفائدته وصلاحيته في عصر العلم الحديث .

فما هي اسباب هذا الرفض ؟

لقد وجدنا بعض هذه الاسباب في محاضرات الباحثين الذين دعوا الى نشر التراث او الاهتمام به .

يرى الدكتور فيصل السامر ان العرب في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي فوجئوا بان الغرب قد سبقهم عدة قرون ، وان النخبة العربية المثقفة من ابناء الطبقتين العليا والوسطى قد انبهرت انبهارا شديدا به فاخذت على عاتقها بحماس مهمة تعريف العرب بما يجري في الغرب من تقدم في شتى وسائل الحياة ، فكان ان ظهرت فئة شديدة الحماس لكل ما هو غربي واعتبروا الحياة الغربية بخيرها وشرها سلاحا يجب ان يستعار لهدم الحياة الشرقية العتيقة ، ويقيم مكانها حياة عصرية على النمط الاوربي الغربي (وهؤلاء هم فئة الرافضين كما يسميهم الدكتور الحبيب الجنحاني) (٩) .

وفئة اخرى تعصبت لكل ما هو شرقي واعتبرت تراث الماضي كلا لا يتجزأ ويكون قيما ثابتة مطلقة لا يجوز المساس بها او بجزء منها (وهؤلاء هم فئة السلفيين كما يسميهم د . الحبيب الجنحاني وموقفها من الجوانب الثورية المشرقة من تراثنا اكثر تزمتا وتحجرا من موقف السلفيين ايام ازدهار الحضارة العربية في القرون الوسطى) .

وفئة ثالثة وقفت موقفا وسطا وحاولت ان توفق بين الاتجاهين المغالين فدعت الى اختيار ما هو نافع في تراث الاجداد ، وما هو نافع في الحضارة الغربية الحديثة من علم وثقافة وزودوا انفسهم بكلا الزادين الثقافة العربية الاصيلة ، وثقافة النهضة العلمية العصرية .

وثمة تيار رابع كان ما يزال يومذاك ضعيفا لفت نظر العرب لاول مرة الى التجربة الاشتراكية الاولى التي قامت في بلد اوربي هو روسيا (١٠) .

هذه التيارات الفكرية ما زالت مستمرة في عصرنا الحاضر ،

(٩) احياء تراث الفكر العربي دعامة اساسية لبناء مجتمع عربي حديث ـ الدكتور الحبيب الجنحاني ص ٤ . الجامعة التونسية .

(١٠) هل نحن اهل لنهضة جديدة : ٢ .

وما زالت اصداء المتحمسين للثقافة الغربية او اصداء المتحمسين للمعسكر الاشتراكي مسموعة ونجد في بعضها هذا الرفض والذي يتبين ان سببه هو الشعور بالتخلف والتاخر عن ركب الحضارة والمدنية الاوربية الحديثة وكانهم يلقون بتبعة هذا التخلف على الفكر العربي والتراث العربي الاسلامي ! فدعوا الى نبذه ورفضه لعلهم يجدون شخصية جديدة ، وبناء جديدا من صرح المدنية الغربية فدعوتهم هذه ان هي الا ضرب من ضروب مركبات النقص (التي غرسها بالامس الاستعمار القديم واليوم الاستعمار الجديد في نفوس الكثيرين من السياسيين والمثقفين العرب ، وندرك خطورة هذا العامل بالنسبة لمعركة المصير العربي حين نلمس تاثيره السلبي الذي اصبح يتزايد في صفوف الجيل الصاعد ، وهو الجيل الذي سيقود المعركة ... ويستغل الاستعمار المقنع هزيمة حزيران ، ووضع الانسان العربي المهزوم المازوم اليوم ليغذو تلك المركبات ويركزها وخاصة في نفوس الشباب العربي ، وهكذا اصبح العالم العربي في نظر الكثيرين سجين عقدة النقص الحضارية) (١١) .

وكما تزمت هؤلاء الرافضون والداعون للحضارة الغربية تزمت الداعون الى حفظ التراث العربي وبعثه فليس كل ما في تراثنا يستحق التخليد والتمجيد كما انه ليس كل ما في تراثنا يدعو الى رفضه وتركه .

وثمة ردود وجدناها في محاضرات الاساتذة وفي بحوث غيرهم ممن كتب في الحضارة الاسلامية ويمكن ان يرد بها على رافضي التراث وهي :

١ ـ ان الحضارة التي يشهدها العالم اليوم منبثقة من الدول الاوربية الصناعية ليست وليدة هذه الدول فحسب بل هي وليدة شعوب العالم كافة التي اسهمت في هذه الحضارة اسهاما يختلف قلة وكثرة . وكان من بين هؤلاء البانين العرب والمسلمون الذين كان لهم الفضل الكبير في النهضة الاوربية الحالية فقدموا لاوربا في بداية نهضتها خلاصة تجاربهم ، وما توصلوا اليه في شتى علومهم وفنونهم . ومن هنا فلا يمكن ان نرفض مثل هذا التراث الذي اسهم اسهاما كبيرا في صرح المدنية الحاضرة . يقول الاستاذ روجيه كارودي في دعوته للحفاظ على التراث الاسلامي : (اذن فهناك تراث رفيع عظيم للقيم الاسلامية قد اسهم اسهاما عظيما واسعا في التقدمات الانسانية) (١٢) . ويقول ايضا (ويترتب علينا ان نقف بوجه كل روح عنصرية ، وان نحافظ بمجموعنا على التراث العالمي لكافة ابناء البشر ، هذا التراث الذي امدته الحضارة العربية بمعونة غنية وان نعمل على تنميته) (١٣) .

٢ ـ ان الذين يرفضون التراث او يقللون من شانه ، ويرون ان لا فائدة من بعثه ونشره ! لانهم يقارنونه بما هو موجود الان في العالم المتمدن ، هؤلاء عليهم ان يتذكروا ان كل احياء في العصر الحديث قد رافقه بعث للتاريخ القومي كما يقول الدكتور

(١١) احياء تراث الفكر العربي : ص ٧ .

(١٢) الاسلام والاشتراكية : ١٣ .

ـ الحبيب الجنحاني ـ ونذكر على سبيل المثال فرنسا والمانيا ، وايطاليا ، والتراث ركيزة التاريخ القومي ، ومن الصعب جدا ان يفصل بين التاريخ القومي للامة العربية . وبين تراثها .

٣ ـ ان البلدان الكبيرة الغربية والشرقية والتي يدعو رافضو التراث الى ضرورة تقليدها ، هذه البلدان وشعوبها تولي تراثها اهمية كبيرة ، ولم تهمله ايام انطلاقها نحو نهضتها الحديثة ، وهي تعتز بكل ما يحويه من غث وسمين ، وحين تثار قضية التراث في هذه البلدان فمن اجل ايجاد افضل السبل للمحافظة عليه ، والعناية بشئونه ، وليس لمناقشة مبدئية لتحديد الموقف منه كما هو الحال في بلادنا العربية (١٣) .

ومن هنا يتبين لنا ان لا حجة لمن يرفض التراث او يقف منه موقفا سلبيا ، وان اقوالهم وادعاءاتهم صادرة عن شعورهم بالتخلف ورغبتهم في الخروج من طوق هذا التخلف فيتخيلون ان نبذ كل شيء من ماضي الامة يبعد العربي عن حاضره السيء المتردي ، ويخلص المجتمع من تبعات عهود ثقيلة من الجهل والفساد . ويضاف الى هؤلاء عدد من الجاهلين المتظاهرين بالثقافة والذين يجهلون كل شيء عن ماضي امتهم وتراثهم فيحاولون تغطية هذا الجهل بغشاوة من السخرية والرفض يرفعونها بوجه من يريد الحديث عنه ، وهؤلاء امرهم سهل لانه من مهمة الباحثين والادباء الذين يجب عليهم ان يطلعوا الناس على جوانب جميلة رائعة من التراث العربي ويظهروها بالمظهر الذي يلائم العصر ويتقبله الناس ويفهمونه .

واخيرا لابد ان نستخلص الفوائد المرجوة من بعث التراث والمحافظة عليه ورعايته كما وردت في بعض البحوث التي مرت بنا سواء دعوا الى ذلك صراحة او لمحوا اليها تلميحا مضيفين اليها ما نراهم منها :

أ ـ الاهتمام بالتراث العربي أول خطوة للثورة والتجديد :

يقول الدكتور الحبيب الجنحاني وقد وصف اسباب هزيمة العرب في حزيران بانها كانت لاسباب حضارية ، وليست عسكرية يقول : (ان المجتمع العربي يمر اليوم بمرحلة تمخض ، وانبعاث ، وينزع جاهدا الى تبديل الاوضاع وقلب الهياكل ، وان هذا النزوع والسعي الثوري لتجاوز مرحلة تاريخية معينة ، والشروع في مرحلة جديدة لها معالمها الواضحة واوضاعها الجديدة ، وقواها الوطنية الطليعية ... يتخذ الطابع القومي بمحتواه الانساني الاصيل لانشاء امة متحررة متحدة تواقة الى نهضة علمية وتقنية حديثة منطلقة في توقها هذا من الجوانب المشرقة الخالدة في تاريخ حضارتها الخصبة)(١٤) .

واذا كان الماضي ليس مجرد اكداس من المعلومات الموثقة بل هو حفظ يربط الحاضر بالماضي بوشائج قوية كما قال احد المحاضرين الافاضل (١٥) فان على الباحثين ان يسلطوا الاضواء على الحركات المضيئة من تاريخنا والعلامات الدالة على حيوية الحضارة العربية الاسلامية الوسيطة ، لا من اجل الرد على المتعصبين لجنس دون اخر بل من اجل هدف اهم واخطر ، هو ان نجعل التاريخ حافزا من حوافز نضالنا ونهضتنا الحديثة (١٦) والتاريخ جزء من التراث الذي يجب ان يسخر بمجموعه لخدمة حاضر الامة ومستقبلها ، ولابد ان ناخذ منه لبنات ودعائم نبني عليها اسس نهضتنا مع دعائم النهضة العلمية الحديثة .

ب ـ خلق شخصية الفرد العربي

اذا كانت الدعوة الى التحرر والثورة هي دعوة عالمية تشترك فيها الشعوب كل الشعوب ممن عانى اذى التخلف ، وحرمان الخيرات من جراء السيطرة الاجنبية ، اذا كانت هذه الدعوة عالمية المحتوى فان لكل شعب شخصية واصالة التي تؤهل له الوقوف متميز السمات امام الشعوب الاخرى ، وهذه السمات هي ما يطلق عليه اسم الاصالة . ولن تتوفر للامة شخصيتها واصالتها الا اذا حافظت على الجوانب النيرة من سمات تراثها القديم ، وربطته بحاضرها الجديد فتكون بذلك شخصيتها التي تجمع بين كل صفات المعاصرة الحاضرة ومقومات الماضي التي اكتسبتها الامة بعد كفاح طويل وتجارب خاضها الاجداد جميعا ، وافادوا منها الامم الاخرى .

وفي الحديث عن ضرورة خلق الشخصية الاصيلة للامة العربية يقول الدكتور سعد زغلول بعد ان تحدث حديثا طويلا عن اصالة التراث العربي في أوج الحضارة العربية ، وعما اضافه هذا التراث من خدمات رائعة الى التراث الانساني يقول : (ان العودة الى الاهتمام بمثل هذا التراث الاصيل الذي تفخر به الانسانية ينبغي ان يكون خطوة البدء نحو تحقيق نهضة عربية جديدة تحفظ للانسان العربي اصالته في عصر العلم والتكنولوجيا)

وفي العودة الى اسس التراث العربية الاصيلة يذكرنا براي طريف ورد في محاضرة الدكتور فيصل السامر ، وهو ان العودة الى التراث العربي بعد تحرير العقل العربي من الخرافات يقضي على مشكلة الفراغ الفكري ، يقول :

(ونحن نقاسي الانقطاع التاريخي عن ينابيع ثقافتنا القديمة ، وعن تبني تقاليد ثقافية جديدة راسخة ، ومن هنا يشكو جيلنا العربي من الفراغ الفكري الرهيب ، وحتى لو عمدنا الى نقل كل منجزات الحضارة المادية ، واقمنا المصانع والمعامل فاننا نظل بحاجة الى خلق العقول التي تنتج هذه المصانع والمعامل والايادي الفنية التي تديرها ، وترعاها، والتربية التي تخلق وتدرب هذه الايادي ، والاجهزة الثقافية الرسمية والشعبية التي تلاحق المواطن لتزوده بكل ما هو جديد في هذا الصدد) (١٧) .

نعم ان العودة الى تراثنا الخالد والعمل على بعثه ونشره يخلق في خضم هذه العقائد المتنافرة ، والاتجاهات المختلفة ،

(١٣) احياء تراث الفكر العربي : ٦ .
(١٤) ن.م. ص ١ .
(١٥) هل نحن اهل لنهضة جديدة ص ٤ .
(١٦) عناصر التراث العربي فكرا وحضارة : ٢٥ .
(١٧) هل نحن اهل لنهضة جديدة : ٨ .

والثياب المزركشة التي يضيع العربي فيها ، ويتيه ، فلا يعرف طريقه ، ولا يعرف شخصيته وينكره الاخرون لانهم لا يجدون فيه ملامح مميزة منسقة ، والعودة الى التراث تعيد الى العربي هذه الشخصية فيستطيع ان يصقلها من جديد بان يضيف اليها كل مقومات العصر الجديد ، من افكار انسانية جديدة ، ومباحث علمية جديدة ايضا .

٣ ــ الوسيلة الى التحرر واعادة حقوق العرب :

مع ان المؤتمر التاريخي الاول عقد تحت شعار (التاريخ يؤكد حقوق العرب في فلسطين والخليج العربي) فاننا لم نجد في بحوث الاساتذة الافاضل الذين ساهموا في لجنة التراث ما يشير الى هذا الجانب المهم من جوانب دراسة التراث واهميتها . لقد بين الكثيرون اهمية التراث ، وضرورة نشره والحفاظ عليه ، الا انهم لم يشيروا الى هذه المسالة المهمة .

ان قضية الامة العربية ، وازمتها الحالية مرتبطة كل الارتباط بتراثها القديم ، فالمطامع قديمة ، والحقوق اقدم ، وكل وجه من وجوه فلسطين المحتلة فيه ملامح الوجه العربي القديم ، ومن هنا تحاول اسرائيل تهويد المدن العربية ، واضاعة معالمها الاصيلة وتشويهها . ان التراث يجب ان يستغل من قبل الاعلام العربي لاثبات حق العرب ، وشرعية دعوتهم سواء في فلسطين المحتلة او جزر الخليج العربي .

هذا الجانب المهم من جوانب تراثنا العربي لم نجد صداه في محاضرات لجنة التراث ، وانما وجدنا الاشارة اليه او اتخاذه وسيلة في الدفاع عن حقوق العرب في فلسطين او دول الخليج في المحاضرات التي القيت ضمن منهاج لجنة الاستعمار والخليج العربي ، او لجنة فلسطين (١٨) فكان لابد ان اضيف هذه الميزة المهمة من ميزات العودة الى التراث في هذا المجال لانها تشكل اهم ركن من اركان القضية العربية الحالية .

وفي صدد الحديث عن حركات التحررالعربي يحدثنا الاستاذ روجيه كارودي عن دور الاسلام العظيم في حركات التحرر العربي الحالية وياخذ ثورة الجزائر نموذجا لهذه الحركات التي كان الاسلام يمدها بالالق والديمومة ، والانبعاث ، فهو حين يتحدث عن (الاسلام وثقافة عصرنا) يقول : (ان النظرية القائلة ان الدين يثني الانسان عن العمل في كل الازمنة والامكنة اي يصرفه عن الكفاح والكدح لهي في تناقض فاضح مع الواقع التاريخي ، انها ليست نظرية ماركسية . وفيما عدا الامثلة الاوربية حسبنا ان نذكر الغافلين بتاريخ الاسلام الذي يعني التسليم (١٩) ، والذي مع ذلك كان في مراحله الصاعدة مذهب كفاح وفتوح فاندفع كالاعصار من بحر الصين الى المحيط الاطلنطيكي .) (٢٠) ومن هنا اخرج الباحث الاسلام من نطاق المحاورات التي دارت بين الماركسيين والمسيحيين عن موقف الدين من الاشتراكية والحركات التحررية يقول : (ان الحوار الدائر في فرنسا على هذا الاساس بين المسيحيين والماركسيين قد كشف عن خصوبة مفرطة ، ولم تكن الخصوبة المفرطة على صعيد التحاور بين الاشتراكية والاسلام ، ان التحرر من النير الاستعماري قد وفر شروط نهضة مدهشة ، ان هذه النهضة لا تتطلب مطلقا احلال القطيعة مع اجمل تقاليد الاسلام ، والثقافة الاسلامية . ولقد البس الاسلام في كثير من الاحيان المقاومة الروحية والفكرية ثوب الرموز ، لقد ضمن استمرار لغة ، وديمومة ثقافة . انه في نظر الكثيرين نقاء الاشياء اللامماثلة في ظل الاستعمار . لقد كان دوره عظيما في التاكيد على ما هو مميز ، وما هو اساسي ضد المشروع المنظم للتهرب واللا تشخص الذي اشاد صرحه الاستعمار)(٢١) . ومن هنا يخلص الباحث روجيه كارودي الى ان الاسلام والتراث العربي الاسلامي هو سبيل للنهضة الحالية وسبيل لحركات التحرر العربي الحالية ايضا .

٤ ــ دراسة التراث معينة على فهم التطورات التي تحدث في العالم العربي في العصر الحديث :

والمقصود بالتراث هنا الجانب التاريخي منه ، لان دراسة التاريخ دراسة فهم ، وتحليل ، تضع الاسباب والنتائج ، وتسجل الظواهر الاجتماعية والفكرية ، هذه الدراسة هي اول ما يجب ان يطلع عليه المهتمون بالدراسات الحديثة ، وخاصة دراسة التطورات الاجتماعية ، والاحداث السياسية التي شملت العالم العربي . هذه الفكرة وجدناها في البحث القيم الذي القاه استاذ التاريخ في جامعة عين شمس وهو الدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى في كلية الاداب بجامعة عين شمس والذي كان بعنوان : (التاريخ والتغير والثقافة العربية) .

لقد بين المحاضر ان جميع المجتمعات والثقافات تجتازطريق التغيير ، وان بالامكان فهم كل مجتمع او ثقافة اذا ما ادركنا انه يسير في طريق خاص به ، وان التغير يشبه تماما نمو اي كائن عضوي ، بعد ان ذكر هذه الحقيقة التي اكدها من قبل

---

(١٨) اذكر على سبيل المثال : الخليج العربي وعروبة الخليج ــ الاستاذ خيرالله طلفاح ، الادعاءات الايرانية في الخليج العربي اصول المشكلة وتطورها التاريخي محاضرة الدكتور جمال زكريا قاسم استاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس ، التطورات القانونية والدستورية في دول الخليج العربي : الدكتور حسين محمد البحارنه وزير الدولة للشؤون القانونية في دولة الكويت ، نظرة في تراث البحرين للدكتور حسين علي محفوظ ، الحق العربي في منطقة الخليج العربي الدكتور ناجي معروف ، وثائق بلدز كمصدر لتاريخ البصرة وخليجها والنشاط الاوربي في تلك المناطق الدكتور عبدالكريم غرايبه ، التنمية الاقتصادية لدول الخليج العربي في العصر العباسي ، الدكتور ابراهيم احمد العدوي ، الجذور التاريخية للتراث العربي في فلسطين ــ الدكتور عواد مجيد الاعظمي .

(١٩) كذا ورد في المحاضرة وواضح ان هناك فرق كبير بين معنى السلم المفهوم من لفظ الاسلام وبين التسليم بمعنى الخضوع لقوة ارضية . ان الاسلام هو الخضوع للذات الله فقط .

(٢٠) الاسلام والاشتراكية : ٦ .

(٢١) الاسلام والاشتراكية ص ٨ .

ابن خلدون في مقدمته (٢٢) ذكر المحاصر ان التغيرات الضخمة التي نشهدها اليوم في المجتمعات العربية لا يمكن ان تفهم فهما صحيحا اذا لم تبحث في اعماق التاريخ القديم ، لان لكل ظاهرة جذور ساعدت على نموها ، وابرازها بشكلها الحالي يقول : (تشهد العالم العربي تغيرات ضخمة لا يمكن ادراكها ادراكا صحيحا دون تقصيها خلال منظورها التاريخي ، اذ ليس من المصادفة ان ابرز الكتاب الذين حاولوا تحليل مشاكل التغيرات الاجتماعية الثقافية في العالم العربي كانوا بالدرجة الاولى من المستشرقين من امثال هاملتون جب ، وبرنارد لويس ، وجوستاف فون جرونباوم وغيرهم . فقبل ان يحاولوا تفسير القوى الداخلية التي شكلت التغيرات الحالية في العالم العربي غاصوا في اعماق تاريخه محاولين تقصي اصول الازمة الراهنة

(٢٢) انظر مقدمة ابن خلدون تحقيق وتعليق علي عبدالواحد وافي ص ١٤٤ فما بعدها .

وهذا المنهاج طبيعي ومنطقي بحكم ان العالم العربي الذي يمر بمرحلة تغيير جذري تكمن فيه تقاليد عريقة القدم ، وهكذا فبدون هذا المنهاج التاريخي يصعب علينا تتبع مسار التغيرات) (٢٣) .

وبعد فهذه اهم عناصر التراث العربي ومنها يتبين لنا الاهتمام به ونشره ، ورعايته واخراجه بالمظهر الذي يلائم روح العصر ، ويساعد على دفع عجلة التقدم الى الامام مستنيرين في ذلك بابراز الوجوه النيرة ، والظواهر الرائعة في تراثنا القديم، مبرزين ، ومؤكدين الجوانب الانسانية – وما اكثرها – في تراثنا القديم ليكون ذلك دفعا وقوة نحو التحرر والتقدم ، ولخلق شخصية عربية أصيلة تستطيع أن تتحدى الاهواء والمطامع ، وان تساهم مساهمة فعالة في صرح الانسانية .

(٢٣) التاريخ والتغير والثقافة العربية – ص ٨ .
